الكتابة العربية

لا يخفى ان العرب كانوا قوماً أُمّيّين لا يعرفون القرآءة ولا الكتابة فكانوا يتناقلون اخبارهم واشعارهم حفظاً على ظهر القلب ولم يُعرَف شيء كُتب عندهم قبل المعلّقات ولذلك ذهب من شعرهم شيء كثير ولم يُحفظ منهُ الا ما كان في اواخر عهد الجاهلية وهو ما قيّدهُ علمآء الاسلام في الدواوين والدفاتر واقدمهُ لا يتجاوز مئة سنةٍ قبل الهجرة . ولعلّ اول قصيدةٍ كُتبت وعُلّقت كانت معلّقة امرئ القيس لانهُ اسبق اصحاب المعلقات عهداً وكانت وفاتهُ سنة ٥٣٩ للميلاد الا انهُ لا ينبغي ان يؤخذ من هذا ان الكتابة لم توجد عند العرب الا من ذلك العهد بل لا بدّ انها كانت قبل ذلك بزمان الا ان تاريخها مجهول ويقال ان في رومية اليوم كتابةً من عهد طراجان في اوائل القرن الثاني للميلاد فيها ذكر ناسخٍ بالخط العربي

وكان اول خطٍّ عُرف عند العرب الكتابة المعروفة بالمُسنَد الحِميريّ وهي كتابة اهل اليمن لتقدمهم في الحضارة على سائر العرب الا انها كانت محصورةَ فيهم لا يعلّمونها احداً ولذلك لم تكن معروفةً عند سائر القبائل حتى نشأت الكتابة المعروفة بالجزم وهي التي خُطّت بها المعلّقات وكُتب بها القرآن والحديث وسائر الكتب الاسلامية لذلك العهد . واما واضع هذه الكتابة فقد اختلفت الروايات فيهِ قال السيوطي في المزهر والمشهور عند اهل العلم ما رواهُ ابن الكلبي عن عوانة قال اول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم مُرامِر بن مُرّة وأسلم بن سدرة وزاد غيرهُ عامر بن جدرة ذكر

هذا الاخير صاحب القاموس في (ج د ر) قال وعامر بن جَدَرة محركة اول من كتب بخطنا قال المرتضى في تاج العروس قال شيخنا وسيأتي لهُ في (م ر ر) ان اول من كتب بالعربية مرامر وجزم بهِ جماعةٌ وتوقف جماعة هل هو خلاف او يمكن التوفيق . قال وهذه الاولية فيها خلافٌ طويل الذيل اوردهُ ابن عساكر وغيرهُ . قال صاحب التاج وهذه العبارة مأخوذة من الجمهرة لابن دريد قال فيها اول من كتب بخطنا هذا عامر بن جدرة ومرامر بن مرّة الطآئيان ثم سعد بن سبل غير ان المصنف اي صاحب القاموس فرّق فذكر كل واحد فيما يناسب ذكرهُ في محلهِ . اه . وقال صاحب القاموس في (م ر ر) ومُرامر بن مُرّة بضمهما اول من وضع الخط العربي . قال المرتضى قال شرقيّ بن القطامي اول من وضع خطنا هذا رجالٌ من طيّئ منهم مرامر بن مرة قال الشاعر

تعلمتُ باجاداً وآل مرامرٍ وسوّدتُ اثوابي ولستُ بكاتب

قال وانما قال آل مرامر لانهُ كان قد سمى كل واحدٍ من اولادهِ بكلمةٍ من ابجد وهم ثمانية . قال ابن بَرّيّ الذي ذكرهُ ابن النحاس وغيرهُ عن المدائني انهُ مرامر بن مروة قال المدائني اول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من اهل الأنبار ويقال من اهل الحيرة ويقال انهُ سُئل المهاجرون من اين تعلمتم الخط فقالوا من الحيرة وسئل اهل الحيرة من اين تعلمتم الخط فقالوا من الأنبار . اه . ولم يذكر احدٌ من اولئك اسلم بن سدرة لكن جآء في تاريخ ابن خلّكان في ترجمة ابن البواب ما نصهُ وروى ابن الكلبي والهيثم بن عديّ ان الناقل لهذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز هو

حرب بن أُميّة بن عبد شمس القُرَشي الاموي وكان قدم الحيرة فعاد الى مكة بهذه الكتابة . وقالا قيل لابي سفيان بن حرب ممَّن اخذ ابوك هذه الكتابة فقال من اسلم بن سدرة وقال سألت اسلم ممن اخذت هذه الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرة . اه . وقال الشيخ ابو النصر الهوريني بعد ما ذكر اولئك الثلاثة انهم تعلموهُ اي الخط من كاتب الوحي لسيدنا هود عليهِ السلام ثم علّموهُ اهل الأنبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق فتعلمها بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان لهُ صحبةٌ بحرب بن أُمية من قريش لتجارتهِ عندهم في بلاد العراق فتعلم حرب منهُ الكتابة ثم سافر معهُ بشر الى مكة فتعلم منهُ جماعةٌ من اهل مكة فبهذا كثر من يكتب بمكة من قُرَيش قُبَيل الاسلام ولذلك قال رجلٌ كندي من اهل دومة الجندل يمن على قريش بذلك

لا تجحدوا نعمآء بشرٍ عليكمُ ... فقد كان ميمون النقيبة ازهرا
اتاكم بخطّ الجزم حتى حفظتمُ ... من المال ما قد كان شتّى مبعثرا
فاجريتم الاقلام عوداً وبدأةً ... وضاهيتمُ كتّاب كسرى وقيصرا
واغنيتمُ عن مُسنَد الحيّ حِمْيراً ... وما كتبت في الصحف اقلام حميرا

اه بتصرف قليل . والجزم قال في القاموس هذا الخط المؤلف من حروف المُعجَم لانهُ جُزِم اي قُطع عن خط حمير . وقال البطليوسي في شرحهِ على ادب الكاتب ان الجزم كان اسما للخط الكوفي قبل وجود الكوفة لكونهِ جُزِم اي اقتطع وولّد من المسند الحميري . اه . وفي رأي بعض المحققين من علمآء الافرنج ان الخط الكوفي أُخذ عن الكتابة السريانية

بأدلَّةٍ منها المشابهة بينهُ وبين الحرف السرياني ومنها ترتيب الحروف العربية على حروف ابجد وهو الترتيب السرياني والعبراني ومنها ان مرامر بن مرة كان من اهل الانبار او من اهل الحيرة وهما من مواطن النساطرة من السريان . وزاد بعضهم على ذلك لفظ مُرامر قال فان شطرهُ الاول الذي هو مُر يشبه ان يكون سريانيًّا ومعناهُ سيدي قال وهو من الالفاظ التي كانت تطلق على القسوس اه . وعلى هذا يمكن ان يكون اصلهُ مور امورو اي سيدي المعلّم ثم عُرّب . وذهب قومٌ منهم الى ان السرياني هو اصل المسند لانهُ اقرب شبهاً بهِ من الكوفي فيكون الكوفي منقولاً عن المسند والمسند منقولاً عن السرياني . وقيل المسند منقولٌ عن الخط الفينيقي اخذوهُ عن الفينيقيين حين هاجروا الى نواحي البلاد العربية فنزلوا بشواطئ البحر الاحمر ولهم على ذلك ادلةٌ نضرب عن ذكرها حب الاختصار

على ان الكتابة كانت قبل الاسلام شائعةً ولا بدّ بين اليهود والنصارى ولا سيما الكهنة والقسوس منهم لاقامة الصلوات والعبادات وتلاوة الاقوال الكتابية لكن لا يُعلم باي صورةٍ كانت لان العرب كان فيهم كثيرٌ من اليهود والسريان والحميريين والحبشة وكان كل فريق من هؤلاء يكتب بحروف لسانهِ فلا يبعد ان يكون العرب كانوا يستخدمون كتابة اقوامٍ منهم . ويقال ان وَرَقة بن نوفل وهو اشهر كتبة العرب لزمن الرسول كان يزاول كتابة العربية بالحرف العبري ولا ينافي هذا ما جاء عنهُ في الاغاني حيث قال وكان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربية من الانجيل ما شاء ان يكتب فان العبرة باللفظ لا بصورة الحرف . وشاعت

بعد ذلك حروف الجزم فلبث العرب يكتبون بها ما يزيد على ثلاث مئة سنة وبها كانت تُضرَب السكة لاوائل عهد الدول الاسلامية الى ان جآء ابن مقلة فكان اول من نقل الخط الكوفي الى الصورة المتعارفة اليوم فأُعجب الناس بخطهِ واستحسنوهُ وبعد ظهورهِ أُهملت الكتابة الكوفية وصار الناس يكتبون بقاعدة ابن مقلة . قال ابن خلكان ولما شاهد ابو عُبَيد البكري الاندلسي صاحب التصانيف خط ابن مقلة انشد

خطُّ ابن مقلة من ارعاهُ مقلتَهُ ودَّت جوارحهُ لو اصبحت مُقلا

ثم جآء بعدهُ ابو الحسن عليّ بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب البغدادي فهذَّب طريقتهُ ونقحها وكساها طلاوةً وبهجةً وفي خزانة الازهر اليوم مجلدٌ من خط ابن هلال من اصل الكتب التي وقفها ورثة المرحوم سليمان باشا اباظه على مكتبة الجامع المشار اليهِ وخطهُ قلما يُفرَق عن الخط النسخي المتعارَف ليومنا هذا

وكانت الكتابة في اول الامر عاريةً عن الشكل فلما سرى الفساد الى ألسنة العرب بمخالطة الاعاجم وضع ابو الاسود الدؤلي انواع الشكل فقال للكاتب الذي كان يملي عليهِ اذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقهُ وان ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت ذكر ذلك ابن خلكان في ترجمة ابي الاسود وزاد غيرهُ فان أتبعت ذلك شيئاً من الغُنَّة يعني التنوين فاجعل مكان النقطة نقطتين . وفي ابن خلكان في ترجمة الحجاج حكى ابو احمد العسكري في كتاب التصحيف ان الناس عبروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله

عنهُ نيفاً واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الى كتّابهِ وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النُقَط افراداً وازواجاً وخالف بين اماكنها فعبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون الا منقوطاً فكان مع استعمال النقط ايضاً يقع التصحيف فاحدثوا الإعجام فكانوا يتبعون النقط الاعجام فاذا أُغفل الاستقصآء عن الكلمة فلم توفَ حقوقها اعترى التصحيف فالتمسوا حيلةً فلم يقدروا فيها الا على الاخذ من افواه الرجال بالتلقين . انتهى . وفي هذا الكلام ابهامٌ لا يخفى فان المفهوم في الاصطلاح ان الاعجام هو النقط لقولهم الدال المهملة مثلاً لما لا نقط عليها والذال المعجمة للمنقوطة وكذا السين المهملة والشين المعجمة والعين المهملة والغين المعجمة وهلمّ جرًّا . لكن جآء في المصباح اعجمتُ الحرف ازلت عجمتهُ بما يميّزهُ عن غيرهِ بنقطٍ وشكل فتبين من هذا ان الاعجام يتناول الشكل ايضاً وهو مقصود العسكري . على انهُ قد مرّ بك من اصطلاح ابي الاسود انهُ رمز الى حركات الحروف بالنُقط فلعلّ نصر بن عاصم لما ميز الحروف بالنقط ميز الحركات بعلاماتها المعروفة اليوم لئلا تلتبس علامة الحرف بعلامة الحركة فجعل علامة الضم واواً صغيرة وعلامة الفتح الفاً كذلك عرضها فوق الحرف وعلامة الكسر نفس علامة الفتح اكتفى بوضعها تحت الحرف فدل بمكانها على لفظها . والظاهر انهُ تناول هذا الاصطلاح عن السريانية فانهُ يُدلّ فيها على الحركات بما يوافقها من الحروف اليونانية ثم مضى على هذا الاصطلاح في سائر العلامات فدلّ

على التشديد بسين مقطوعة يومئ بها الى الشين من شدَّة والى همزة القطع بعين مقطوعة والى علامة الوصل بصاد والى علامة المدّ بألِف معروضة مثل علامة الفتح الا انها اكبر منها . وهناك علاماتٌ اخر اصطلحوا عليها للدلالة على الامالة والنقـل والاشمام وغير ذلك من المصطلحات الخاصَّة بالقرّآء على نحو ما فعلهُ اليهود في الاسفار العبرية

بقي هنا التنبيه الى اختلافٍ يسير تجدهُ بين مصطلح المشارقة والمغاربة منهُ في النقط وهو ان المشارقة ينقطون الفآء بنقطةٍ من فوق والقاف بنقطتين والمغاربة ينقطون الفـآء بنقطةٍ من تحت والقاف بنقطةٍ من فوق ومنهُ في الشكل وهو انهُ اذا كان الحرف المشدَّد مضموماً او مفتوحاً فالمشارقة يضعون علامة التشديد بين الحرف والحركة والمغاربة يضعون الحركة بين الحرف وعلامة التشديد . ولا يخفى ان هذا الاصطلاح الثاني غير سديد لان الحركة انما هي للحرف المكرَّر المعبَّر عنهُ بعلامة التشديد فحقها ان تكون فوق الشدة لتنزل من التشديد منزلتها من الحرف نفسهِ كما هو ظاهر والله اعلم

أكلة اللحوم البشرية

اذا قابلنا طبيعة الانسان بطبيعة سائر الحيوان وجدنا عندهُ من الاطوار الوحشية ما لا يُقدِم عليهِ كثيرٌ من الحيوان فانهُ منذ قام الانسان الى هذا اليوم لم تبرح الارض تتلطخ بدمآء افرادهِ ظلماً وعدواناً وأشلآء قتلاهُ تتمزَّق بين سلاحهِ وانياب الضواري وما زال بعضهُ يعدو على بعضٍ